ولقد كنت والله ممن ملك ومال وولي وآل ورفد ونال ووصل وصال فلم تزل الجوائح تسحت والنوائب تنحت حتى الوكر قفر والكف صفر والشعار ضر والعيش مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون مصاصة النوى ولم أقم هذا المقام الشائن وأكشف لكم الدفائن إلا بعدما شقيت ولقيت وشبت مما لقيت فليتني لم أكن بقيت ثم تأوه تأوه الأسيف وأنشد بصوت ضعيف

أشكو إلى الرحمن سبحانه ... تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات قرعت مروتي ... وقوضت مجدي وبنيانه
واهتصرت عودي ويا ويل من ... تهتصر الأحداث أغصانه
وأمحلت ربعي حتى خلت ... من ربعي المحل جرذانه
وغادرتني حائرا بائرا ... أكابد الفقر وأشجانه
من بعد ما كنت أخا ثروة ... يسحب في النعمة أردانه

يختبط العافون أوراقه ... ويحمد الساري نيرانه

فأصبح اليوم كأن لم يكن ... أعانه الدهر الذي عانه

وازور من كان له زائرا ... وعاف عافي العرف عرفانه

فهل فتى يحزنه ما يرى ... من ضر شيخ دهره خانه

فيفرج الهم الذي همه ... ويصلح الشأن الذي شانه

فقالوا له قد عرفنا قدر زينتك ودرة مزنتك فعرفنا دوحة شعبتك واحسر
اللثام عن نسبتك فتأفف تأفف من مني بالاعنات أو بشر بالبنات ف
جعل يلعن الضرورات ويتذمم من تغيض المروات ثم انشد بلفظ صادع وجرس
خادع وهو قوله

لعمرك ما كل فرع يدل ... جناه اللذيذ على أصله

فكل ما حلا حين تؤتى به ... ولا تسأل الشهد عن نحله

وميز إذا ما اعتصرت الكروم ... سلافة عصرك من خله

لتغلي وترخص عن خبرة ... وتشري كلا شرى مثله

فغار على الفطن اللوذعي دخول الغيرة في عقله قال فازدهى القوم بذكائه
ودهائه واختلبهم بحسن أدائه مع دائه حتى جعلوا له خبايا الخبن وخفايا
الثبن وقالوا له يا هذا إنك حمت على ركية بكية وتعرضت لحالية خالية فخذ
هذه الصبابة وهبها لا خطأ ولا إصابة فنزل فيهم منزلة الكثر ووصل قبوله بالشكر
ثم تولى يجر شقه ويهب بالخبط طرقه قال المخبر بهذه الحكاية فصور لي أنه
يخيل الحالية متصنع في مشيته فنهضت أنهج منهاجه وأقفو أدراجه وهو
يلحظني شزرا ويوسعني هجرا حتى إذا أخلى الطريق وأمكن التحقيق نظر إلي نظر من
هش وبش وواحض بعد ما غش وقال إني لأخالك أخا غربة ورائد صحبة فهل لك في
رفيق يرفق بك ويرفق وينفق عليك وينفق فقلت له لو أتاني هذا الرفيق لآتاني
التوفيق فقال لي قد وجدت فاغتبط واستكرمت فارتبط ثم ضحك مليا وتمثل
لي بشرا سويا فإذا هو شيخنا السروجي لا قلبة بجسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت

بلقيته

الحالة

بلقيته وكذب لقوته وهممت بملامته على سوء مقامته فنحّى فاه وانشد قبل ان

ظهرت بزيّ لكيما يقال　　فقير يرجي الزمان المزجى

واظهرت للناس ان قد فلجت　　فكم نال قلبي به ما ترجّى

فلولا الرثاثة لم يرث لي　　ولولا التفالج لم الق فلجا

ثم قال انه لم يبق بهذه الارض مرتع ولا في اهلها مطمع فان كنت الرفيق فالطريق فسرنا

منها متجردين ورافقته عامين اجردين وكنت حريصا على ان اصحبه ما عشت فأبى

الدهر الشتيت

المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية

حكى الحرث بن همام قال لما جبت البيد الى زبيد صحبني غلام كنت ربيته الى ان بلغ

اشدّه وثقفته حتى اكمل رشده وكان انس باخلاقي وخبر بجالب وفاقي فلم يكن

يتخطى مرامي ولا يخطي في المرامي لاجرم انه قربه الناطق بصفوي واخلصته

لحضري وسفري فالوى به الدهر المبير حين ضمتنا زبيد فلما شالت نعامته وسكنت

نامته بقيت عاماً لا أسيغ طعاماً ولا أريغ غلاماً حتى اجتابتني شوائب الوحدة

ومتاعب القومة والقعدة الى أن اعتاض عن الدر بالخرز وارتاد من هو

سداد من عوز فقصدت من يبيع العبيد بسوق زبيد وقلت أريد عبداً

يعجب إذا قلب ويحمد إذا جرب وليكن ممن خرجه الأكياس وأخرجه الى السوق

الإفلاس فاهتز كل منهم لطلبي ووثب وبذل تحصيله عن كثب ثم وارت

الأهلة دورها وتقلبت كورها وحورها وما نجز من وعودهم وعد ولا سح

لها رعد فلما رأيت النخاسين ناسين أو متناسين علمت أن ليس كل من خلق

يفري وأن لن يحك ظهري مثل جلدي فرفضت مذهب التفويض وبرزت

الى السوق بالصفر والبيض فأني لأستعرض الغلمان وأستعرف الأثمان إذ عارضني

رجل قد اختطم بلثام وقبض على زند غلام وقال من يشتري مني غلاماً صنعاً

في خلقه وخلقه قد برعا بكل ما نيطت به مضطلعاً يسمعك إن قال وإن قلت وعى

وان تصبك عثرة يقل لعا وان تسمه السعي في النار سعا وان تصاحبه ولو يوما رعا

وان تقنعه بظلف قنعا وهو على الكيس الذي قد جمعا ما فاه قط كاذبا ولا ادعا

ولا اجاب مطمعا حين دعا ولا استجاز نث سر اودعا معا وطالما ابدع فيما صنعا

وفاق في النظم وفي النثر معا والله لولا ضنك عيش صرعا وصبية اضحوا عراة جوعا

ما بعته بملك كسرى اجمعا قال فلما تاملت خلقه القويم وحسنه الصميم

خلته من ولدان جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ثم

استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لانظر اين فصاحته من صباحته

وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة ولا فاه فوه ابن امة ولا حرة

فضربت عنه صفحا وقلت قبحا لغيك وشقحا فغار في الضحك وانجد ثم انغض نشد راسه الي

يا من تلهب غيظه ان لم ابح باسمه ما هكذا من ينصف

ان كان لا يرضيك الا كشفه فاصخ له انا يوسف انا يوسف

ولقد كشفت لك الغطا فإن تكن   فطناً عرفت وما إخالك تعرف

قال فبهرني عتبه بشعره واستسبى لبي بسحره حتى شرهت عن التحقيق وأنسيت

قصة يوسف الصديق ولم يكن لي همٌّ إلا مساومة مولاه فيه واستطلاع

طِلع الثمن لأوفيه وكنت أحسب أنه سينظر شزراً إليّ ويغلي السيمة عليّ فما

حلّق إلى حيث حلّقت ولا اعتلق بما به اعتلقت بل قال إنّ العبد إذا نزر

ثمنه وخفّت مؤنته تبرّك به مولاه والتحف عليه هواه وإني لأوثر تحبيب

هذا الغلام إليك بأن أخفّف ثمنه عليك فزن مائتي درهم إن شئت

واشكر لي ما حييت فنقدته المبلغ في الحال كما ينقد في الترخيص الحلال ولم

يخطر لي ببال أن كل مرخص غالٍ فلما تحققت الصفقة وحقّت الفرقة هملت

عينا الغلام ولا همول أدمع الغمام ثم أقبل على صاحبه وقال

لحاك الله هل مثلي يباع   لكيما تشبع الكرش الجياع

وهل في شرعة الانصاف اني … أكلف خطة لا تستطاع

وان أبلى بروع بعد روع … ومثلي حين يبلى لا يراع

أما جربتني فخبرت مني … نصائح لم يمازجها خداع

وكم أرصدتني شركا لصيد … فرحت وفي حبايلي السباع

وبطت بي المصاعب فاستقادت … مطاوعة وكان بها امتناع

وأي كريهة لم أبل فيها … وغنم لم يكن لي فيه باع

وما أبدت لي الأيام جرما … فيكشف في مصارمتي القناع

ولم تعثر بحمد الله مني … على عيب يكتم أو يذاع

فأنى ساغ عندك نبذ عهدي … كما نبذت برايتها الصناع

ولم سمحت قرونك بامتهاني … وأن أشرى كما يشرى المتاع

وهلا صنت عرضي عنه صوني … حديثك يوم جد بنا الوداع

وقلت لمن يساوم في هذا سكاب فما يعار ولا يباع

فما انا دون ذاك الطرف لكن طباعك فوقها تلك الطباع

على اني سانشد عند بيعي اضاعوني واي فتى اضاعوا

قال فلما وعى الشيخ ابياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء وبكى حتى بكى البعداء

ثم قال للحاكم اني احل هذا الغلام محل ولدي ولا ميزة عن افلاذ كبدي ولولا خلو

مراحي وخبو مصباحي لما درج عن عشي الوادي يشيع نعشي وقد رايت

ما نزل به من لوعة البين والموت حين بين فهل لك في تسلية قلبه و

تسرية كربه بان تعاهدني على الاقالة فيه متى استقلت والاستنقال مني متى

ثقلت في الاخبار المنتقات المروية عن الثقات من اقال نادما بيعته و

اقاله الله عثرته قال الحارث بن همام فوعدته وعدا برزه الحياء وفي القلب اشياء

فاستدنى حينئذ الغلام اليه وقبل ما بين عينيه وانشد والدمع يرفض من جفنيه

حفض

خفّض فدتك النفس ما تلاقي من برحاء الوجد والاشتياق فما تطول مدة الفراق

ولا تني كأس التلاقي بحسن عون القادر الخلاق ثم قال أستودعك نعم المولى

ثم شمّر ذيله وولّى فلبث الغلام في زفير وعويل ريثما يقطع مدى ميل فلما استفاق

وكفكف دمعه المهراق قال أتدري لم أعولت وعلام عولت قلت أظن فراق

مولاك هو الذي أبكاك فقال إنك لفي واد وأنا في واد ولكم بين مريد ومراد ثم أنشد

لم أبك والله على إلف نزح ولا على فوت نعيم وفرح وإنما مدمع أجفاني سفح

على غبيّ لحظه حين طمح ورطه حتى تعنّى وافتضح وضيّع المنقوشة البيض الوضح

ويك أما أنا جئتك ها تيك الملح بأنني حرّ وبيعي لم يبح إذ كان في يوسف معنى قد وضح

قال فتمثلت مقالة في موالاة المداعب ومعرض الملاعب فتصلب تصلب المحق

وتبرأ من طينة الرقيق فجدلنا في مخاصمته اتصلت بملاكمة وأدت إلى المحاكمة فلما

أوضحنا للقاضي الصورة وتلونا عليه السورة قال الآن من أنذر فقد أعذر

ومن حذر كمن بشر ومن بصر فما قصر وإن فيما شرحتماه لدليلا على أن هذا الغلام
قد نبهك فما ارعويت ونصح لك فما وعيت فاسترد أبلهك واكتمه ولم نفسك
ولا تلمه وحاذر من اعتلاقه والطمع في استرقاقه فإنه حر الأديم غير معرض للتقويم
وقد كان أبوه أحضره أمس قبيل أفول الشمس واعترف بأنه فرعه الذي أنشأه وأن
لا وارث له سواه فقلت للقاضي أو تعرف أباه أخزاه الله فقال وهل يجهل أبو
زيد الذي جرحه جبار وعنده كل قاض له أخبار وأخبار قال فتحرقت حينئذ
وحوقلت وأفقت ولكن حين فات الوقت وأيقنت أن لثامه كان شرك
مكيدته وبيت قصيدته فنكس طرفي مما لقيت وآليت ألا أعامل متلثما ما بقيت
ولم أزل أتأوه لخسر صفقتي وافتضاحي بين رفقتي فقال لي القاضي حين رأى
امتعاضي وحرار تماضي يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك ولا أجرم إليك من
أيقظك فاتعظ بما نابك وكاتم أصحابك ما أصابك وتذكر أبدا ما دهمك لتتقي

الذكرى دراهمك وتخالو بخالو من ابتلى فصبر وتجلت له العبر فاعتبر قال فودعته
لابساً ثوبي الخجل والحزن ساحباً ذيلي الغبن والغين ونويت مكاشفة ابي زيد بالهجر
ومصارمته يد الدهر فجعلت اتنكب عن ذراه واتجنب ان اراه حتى غشيني
في طريق ضيق فحياني تحية شيق فما زدت على ان عبست وما نبست فقال
ما بالك شمخت بانفك على الفك فقلت النسيت انك احتلت وختلت
وفعلت فعلتك التي فعلت فاضرط بي متهازيا ثم انشد متلافيا

يا من يدا منه صدود موحش وتجهم   وغدا يريش ملامه من دونهن الاسهم
ويقول هل حر يباع كما يباع الادهم   اقصر فما انا فيه بدعا مثل ما تتوهم
قد باعت الاسباط قبلي يوسفا وهم هم   هذا واقسم بالتي يسري اليها المتهم
والطائفين بها وهم شعث النواصي سهم   ما قمت ذاك الموقف المخزي وعندي درهم
فاعذر اخاك وكف عنه ملام من لا يفهم   ثم قال اما معذرتي فقد لاحت واما

دراهمك فقد طاحت فإن كان اقشعرارك مني وازورارك عني لفرط شفقتك

على غير نفقتك فلست ممن يلسع مرتين ويوطئ على جمرتين وإن كنت

طويت كشحك وأطعت شحك لتستنقذ ما علق بأشراكي فلتبك على

عقلك البواكي قال الحرث بن همام فاضطرني بلفظه الخالب وسحره الغالب

إلى أن عدت له صفيا وبه حفيا ونبذت فعلته ظهريا وإن كانت شيئا فريا

المقامة الخامسة والثلثون الشيرازية

حكى الحرث بن همام قال مررت في تطوافي بشيراز على ناد يستوقف المجتاز

ولو كان على أوفاز فلم أستطع تعديه ولا جنحت قدمي في تخطيه فعجت

إليه لأسبر سر جوهره وأنظر كيف غرة من زهره فإذا أهله أفراد والعائج

إليهم مفاد وبينما نحن في فكاهة أطرب من الأغاريد وأطيب من حلب العناقيد

المتق =

إذ احتف بنا ذو طمرين قد كاد يناهز العمرين فحيا بلسان وأبان إبانة

منطيق

منطيق ثم احتبى حبوة المنتزين وقال اجعلنا اللهم من المهتدين فازدراه
القوم لطمريه ونسوا ان المرء باصغريه واخذوا يتراعون فصل الخطاب
ويعتزون عوده من الاحطاب وهو لا يفيض بكلمة ولا يبين عن سمة الى ان
سبر قرائحهم وخبر شائلهم وراجحهم فحين استخرج دفائنهم واستنثل كنائنهم
قال يا قوم لو علمتم ان وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا الاخلاق وقلتم ما
له من خلاق ثم فجر من ينابيع الادب والنكت النخب ما جلب بدائع العجب
واستوجب ان يكتب بذوب الذهب فلما خلب كل خلب وقلب اليه كل قلب
تحلحل ليرحل وتاهب ليذهب فعلقت الجماعة بذيله وعاقت مسرب سيله
وقالت له قد اريتنا وسم قدحك فخبرنا عن قيضك ومحك فصمت صموت من
افحم واعول حتى رحم قال الراوي فلما رايت شوب ابي زيد وروبه واسلوبه المنا
لوف
وصوبه تاملت الشيخ على سهومة محياه وسهوكة رياه فاذا هو اياه فكتمت

سرّه كما يكتم الداء الدخيل وسترت مكره وإن لم يكن بخيل حتى إذا نزع عن إعواله

وقد عرف عثوري على حاله رمقني بعين مضحاك ثم أنشد بلسان متباك

أستغفر الله وأعنو له	من فرطات أثقلت ظهريه

يا قوم كم من عاتق عانس	ممدوحة الأوصاف في الأندية

قتلتها لا أتقي وارثا	يطلب مني قودا أو دية

وكلما استنزلت في قتلها	أحلت بالذنب على الأقضية

ولم تزل نفسي في غيها	وقتلها الأبكار مستشرية

حتى نهاني الشيب لما بدا	في مفرقي عن تلكم المعصية

فلم أرق مذ شاب فودي دما	من عاتق يوما ولا مصبية

وها أنا اليوم على ما ترى	متروض لحرفتي المكدية

لرب بكرا طال تعنيسها	وحجبها حتى عن الأهوية

وهي على التغنيس مخطوبة   كخطبة الغانية المغنية

وليس يكفيني لتجهيزها   على الرضا بالدون الا مية

واليد لا تركى على درهم   والارض قفر والسما مصحية

فهل معين لي على نقلها   مصحوبة بالقينة الملهية

فيغسل الهم بصابونه   والقلب من افكاره المضنية

ويقتني مني الثناء الذي   تضوع رياه مع الادعية

قال فلم يبق في الجماعة الا من نديت له كفه وانباع اليه عرفه فلما نجحت بغيته
وكملت ميئته اخذ يثني عليهم بصالح ويشمر عن ساق سارح فتبعته لاستعر ف
ريبة خزره ومن قتل في جحر ثاني امره فكانت وشك قيامي مثاله مراي فازدلف
مني وقال افقه عني

قتل مثلي يا صاح مزج المدام   ليس قتلي بلهذم او حسام

والتي عنست هي البكر بنت الكرم   لا البكر من بنات الكرام

ولتجهيزها الى الكاس والطاس فيالي الذي ترى ومقامي

فتفهم ما قلته وتحكم في التغاضي ان شئت او في الملام

ثم قال انا غريد وانت زهيد وبيننا بون بعيد ثم ودعني وانطلق وزودني نظرة

من ذي علق

المقامة السادسة والثلاثون الملطية

اخبر الحرث بن همام قال انخت بملطية مطية البين وحقيبتي ملأى من العين

فجعلت هجيراي مذ القيت بها عصاي ان اتورد موارد المرح واتصيد شوارد

الملح فلم يفتني بها منظر ولا مسمع ولا اخلا مني ملعب ولا مرتع حتى اذ لم يبق

لي فيها مارب ولا في الثواء بها مرغب عمدت لانفاق الذهب في ابتياع الاهب

فلما اكملت الاعداد وهيأت الظعن منها او كاد رايت تسعة رهط قد سبأوا

قهوة وارتبأوا ربوة ودماثتهم قيد الالحاظ وفكاهتهم حلوة الالفاظ فنحوتهم

طالبا لمنادمتهم لا لمدامتهم وشغفا بمناجتهم لا بزجاجتهم فلما انتظمت عاشرهم

واصبحت

واصبحت معاشرهم ألفيتهم أبناء علات وقد زيّف فلوات إلا أن لحمة الأدب قد
ألفت شملهم ألفة النسب وساوت بينهم في الرتب حتى لاحوا مثل كواكب الجوزاء
أو كالحلقة المتناسبة الأجزاء فأعجبني الاهتداء إليهم وأحمدت الطالع الذي
أطلعني عليهم وطفقت أفيض بقداحي مع قداحهم وأستشفي براحهم لا براحهم
حتى أدتنا شجون المفاوضة إلى التحاجي بالمقايصة كقولك إذا عنيت به
الكرامات ما مثل النوم فات فأنشأنا نجلو السها والقمر ونجتني الشوك والثمر
وبينا نحن ننشر القشيب والرث وننثل السمين والغث طلع علينا شيخ
قد ذهب خبره وسبره وبقي خبره وسبره فمثل مثول من يسمع وينظر ويلتقط
ما ننثر إلى أن نفضت الأكياس وحصحص اليأس فلما رأى إجبال القرائح وإكداء
الماتح والمائح جمع أذياله وولانا قذاله وقال ما كل سوداء تمرة ولا كل صهباء
خمرة فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء بالأعواد وضربنا دون وجهته بالأسداد

فقلنا له الآن دواء الشق ان يحاص والا فالقصاص القصاص فلا تطمع في ان
تجرح وتنهر الفتوق وتسرح فلوى عنانه راجعا ثم جثم بمكانه راصحا وقال
اما اذا استنثرتموني بالبحث فلاحكمن حكم سليمن في الحرث اعلموا يا ذوي
الشمايل الادبية والشمول الذهبية ان وضع الاحجية لامتحان الالمعية واستخراج
الخبية الخفية وشرطها ان تكون ذات مماثلة حقيقية والفاظ معنوية ولطيفة
ادبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط ولم تدخل السفط وما اركم حافظتم على
هذه الحدود ولا ميزتم بين المقبول والمردود فقلنا له صدقت فكلنا من لبابك وافض علينا
من عبابك فقال افعل لئلا يرتاب المبطلون ويظنوا بي الظنون ثم قابل ناظورة القوم

وقال

يا من سما بذكاء في الفضل واري الزناد   ماذا يماثل قولي جوع امد يزاد

طوامير

ثم ضحك الى الثاني وانشد

يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنسه شين   ما مثل قول المحاجي ظهر اصابته عين

مطاعين

ثم لحظ الثالث وقال

يا من نتايج فكره مثل النقود الجايزه   ما مثل قولك للذي حاجيت صاد فجايزه

الفاصله

ثم ابلع جنيه الى الرابع وقال

يا مستنبط الغامض من لغز واضمار   الا اكشف لي ما مثل تنا والف دينار

ثم رمى الخامس ببصره وقال   هادية

يا ايها الالمعي اخو الذكاء المنجلي   ما مثل اهل حلية بين هريت وعجل

ثم التفت الى السادس وقال   الغاشية

يا من تقصر عن مداه خطا المجارية وتضعف   ما مثل قولك للذي يحاجيك كالكف الكف

ثم خلج السابع بحاجبه وقال   سهم

يا من له فطنة تجلت ورتبة في الذكاء جلت   بين فارزت ذا بيان ما مثل قولي الشقيق

افلت

ثم استنصت الثامن وقال   الاخطار

يا من حاز التي فضله مطاولة الازهار غضنه   ما مثل قولك للمحاجي ذي الحجي ما اختار

فضة

لان الرقة من اسماء الفضة وقد نطق بها النبي صلعم فقال في الرقة ربع العشر

اباريقة

يا من يشار اليه في القلب الذكي وفي البراعة   بين لنا ما مثل قولك للمحاجي دون جماعة

ثم حدج التاسع ببصره وقال   قال الراوي فلما انتهى الى هز منكبي وقال   طاقية

يا من له النكت التي يشجى الخصوم بها وينكت   انت المبين فقل لنا ما مثل قولي خالي اسكت

خالص

لانك اذا ناديت مضافا الى نفسك جاز لك حذف الياء واثباتها ساكنة ومتحركة وقد حذفوا هنا حرف النداء كما حذفه في اصل الاحجية وصه بمعنى اسكت

ثم قال قد امهلتكم وامهلتكم وان شئتم ان اعلمكم عللتكم قال فلجانا الهب الغليل الى استشفاء العليل فقال الست كمن يستاثر على نديمه ولا امتن بتمنه في

اديه

ثم كر على الاول وقال

يا من اذا اشكل المعمى حلته افكاره الدقيقة   ان قال يوما لك المحاجي خذ تلك ما مثله حقيقة

هاتيك

ثم ثنى جيده الى الثاني وقال

يا من بدا بيانه عن فضائله جليا   ماذا مثال قولهم حمار وحش حليا

لان الفرا حمار الوحش وفيه المثل كل الصيد في جوف الفرا

فرازين

ثم أومى إلى الثالث بلحظه وقال

يا من غدا في فضله وذكائه كالأصمعي ... ما مثل قولك للذي حاجيت القوت تقع

ضنتم

ثم حملق إلى الرابع وقال

يا من إذا ما غويهم دجا أنار ظلامه ... ماذا يماثل قولي استنشق ريح مدامه

رحراح

ثم أومض إلى الخامس وقال

يا من تنزه فهمه من أن يروى أو يشكا ... ما مثل قولك للذي أضحى يحاجي غط هالكا

صنبور

ثم أقبل قبل السادس وقال وأنشد

يا أخا الفطنة التي بان فيها كماله ... سار بالليل فترة أي شيء مثاله

سراحين

ثم نحا بصره إلى السابع وقال

يا من تجلى بفهم أقام في الناس سوقه ... لك البيان فبين ما مثل أحبب فروقه

صقلاع

ثم قصد قصد الثامن وأنشد

يا من تبوأ ذروة في الفضل فاقت كل ذروه ... ما مثل قولك أعط إبريقا بلوح بغير عروه

أسكوب

ثم ابتسم إلى التاسع وقال

يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك ... ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء النور ملكي

اللالى ثور الوحش لان اللالاء على وزن الفناء

ثم تيمن بجمعه عارذن وقال

يا من سما بثقوب فطنته في المشكلات ونور كوكبه ... ماذا مثال صفير جحفلة بيته تبيانا يتم به

مكاشفة

قال الراوي فلما أطربنا بما سمعناه وطالبنا بكشف معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل هذه العقد يدان فإن أبنت مننت وإن كتمت عممت فطال التأود نفسه ويقلب قد حسبه حتى هان بذل الماعون عليه فأقبل حينئذ على الجماعة وقال

ساعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ولا ظننتم انكم تعلمون فاوكوا على الاوعية وربقوا ضوابه
الانية ثم اخذ في تفسير ما صقل به الاذهان واستفرغ معه الاردان حتى اضاءت
الافهام انور من الشمس والاكمام كان لم تغن بالامس ولما هم بالمفر سئل عن المقر
فتنفس كما تتنفس الثكول ثم انشا يقول
كل شعب لي شعب وبه ربعي رحب
غير اني بسروج مستهام القلب صب
هي ارض البكر والجو الذي منه المهب
والى روضتها الغناء دون الروض اصبو
ما حلا لي بعدها حلو ولا اعذوذب عذب
قال الحرث بن همام فقلت لاصحابي هذا ابو زيد السروجي الذي اذن لهم الاحاجي ف
اخذت اصف لهم حسن توشيته وانقياد الكلام لمشيته ثم التفت فاذا به قد
طمر وناء بما قمر فعجبنا مما صنع ولم ندر اين سكع وصقع

المقامة السابعة والثلاثون الصعدية

أخبر الحارث بن همام قال أصعدت إلى صعدة وأنا ذو شطاط يحكي الصعدة واشتداد
يبدر به بنات صعدة فلما رأيت نضرتها ورعيت خضرتها سألت نحارير الرواة
عمن تحويه من السراة ومعادن الخيرات لأتخذه جذوة في الظلمات ونجدة في
الظلامات فنعت لي قاض رحيب الباع خصيب الرباع تميمي النسب والطباع
فلم أزل أتقرب إليه بالإلمام وأتنفق عليه بالإجمام حتى صرت صدى صوته وسلمان
بيته وكنت مع اختبار شهره واستشفاف دهره أشهد مشاجر الخصوم وأسفر
بين الموصوم منهم والمعصوم فبينما القاضي جالس للإسجال في يوم المحفل والاحتفال
إذ دخل شيخ بالي الرياش بادي الارتعاش فتبصر الحفل تبصر نقاد ثم زعم أن له خصما
غير منقاد فلم يكن إلا كشرارة أو نحو إشارة حتى أحضر غلام كأنه ضرغام
فقال الشيخ أيد الله القاضي وعصمه من التغاضي إن ابني هذا كالقلم الردي

خ ويرتضع

والسيف الصدي يجهل اوصاف الانصاف ويرضع اخلاف الخلاف ان اقدمت
احجم وان اعربت اعجم وان اذكيت اخمد ومتى شويت ترمد مع اني كفلته مذ
دب الى ان شب وكنت به الطف من ربي وربت فاكبر القاضي ما شكا اليه واطرق
به من حواليه ثم قال اشهد ان العقوق احد الثكلين ورب عقم اقر للعين فقال
الغلام وقد امحضه هذا الكلام والذي نصب القضاة للعدل ومكنهم اعنة
الفضل والفصل انه ما دعا قط الا امنت ولا ادعى الا امنت ولا ابتنى الا واحرمت ولا
اورى الا واضرمت بيد انه كمن يبغي بيض الانوق ويطلب الطيران من النوق فقال له
القاضي وبم اعنتك وامتحن طاعتك قال انه منذ صفر من المال ومني بالاهمال
يسومني ان اتلظ بالسؤال واستمطر سحب النوال ليفيض شرب الذي غاض ويجبر من
حاله ما انهاض وقد كان حين اخذني بالتدريس وعلمني ادب النفس اشرب قلبي ان الحرص
متعبة والطمع معيبة والشره متخمة والمسئلة ملامة ثم انشدني من فلق فيه و

نخ قوافيه

ارض بأدنى العيش واشكر عليه شكر من القل كثير لديه

وجانب الحرص الذي لم يزل يحط قدر المترقي اليه

وحام عن عرضك واستبقه كما يحامي الليث عن لبدتيه

واصبر على ما ناب من فاقة صبر اولي العزم واغمض عليه

ولا ترق ماء المحيا ولو خولك المسؤول في بدرتيه

فالحر من اذا قذيت عينه اخفى قذى جفنيه عن ناظريه

ومن اذا اخلق ديباجه لم ير ان يخلق ديباجتيه

قال فعبس الشيخ واكفهر وابذأر على ابنه وهر وقال له صه يا عقق يا من هو الشجا

والشرق ويلك انعم آمك البضاع وطيرك الارتضاع لقد تحككت العقرب بالافعى و

استنت الفصال حتى القرعى ثم كأنه ندم على ما فرط منه وحذرته المقة على تلافيه

فرنا اليه بعين عاطف وخفض له جناح ملاطف وقال ويك يا بني ان من امر

بالقناعة

بالقناعة وزجر عن الضراعة هم ارباب البضاعة واولو المكسبة بالصناعة فاما
ذوو الضرورات فقد استثني لهم في المحظورات وهبك جهلت هذا التأويل ولم يبلغك
ما قيل البيت الذي عارض اباه فيما قال وما حاباه

لا تقعدن على ضر ومسغبة ... لكي يقال عزيز النفس مصطبر

ضيم خ

وانظر بعينك هل ارض معطلة ... من النبات كارض حفها الشجر

فعد عما يشير الاغبياء به ... فاي فضل لعود ما له ثمر

وارحل ركابك عن ربع ظميت به ... الى الجناب الذي يهمي به المطر

واستنزل الري من در السحاب فان ... بلت يداك به فليهنك الظفر

وان رددت فما في الرد منقصة ... عليك قد رد موسى قبل والخضر

قال فلما راى القاضي تناقض قولي الفتى وفعله وتحليه بما ليس من اهله نظر اليه بعين
غضبى وقال اتميميا مرة وقيسيا اخرى اف لمن ينقض ما يقول ويتلون كما يتلون الغول

فقال الغلام والذي جعلك مفتاحا للحق وفتاحا بين الخلق لقد انسيت مذ بليت

الفتح ق

وصفري ذهني مذ صفريت على انی این العطاء او الشرع وهل بقی من يتبرع بالثناء

او اذا استطعم يقرؤها فخاله القاضي صنه فی الخواطی سهم صايب وما كل برق

خالب فمن البرق اذا شمت ولا تشهد الا بما علمت فلما تبينت للشيخ ان القاضي قد

غضب للكرام واعظم تبخيل جميع الانام علم انه سينصر كلمته ويظهر اكرومته

فما كذب ان نصب شبكته وشوى فی هذا الحريق سمكته وانشأ يقول

يا ايها القاضي الذي علمه   وحلمه ارسخ من رضوى

قد ادعى هذا على جهله   ان ليس فی الدنيا اخو جدوى

وما درى انك من معشر   عطاؤهم كالمن والسلوى

فجد بما يثنيه مستخزيا   مما افترى من كذب الدعوى

وانثني جذلان اثني بما   اوليت من جدوى ومن عدوى

قال

قال فهش القاضي لقوله واجزل له من طوله ثم لفت وجهه الى الغلام وقد نضل له
أسهم الملام وقال له أرأيت بطلان زعمك وخطاء وهمك فلا تعجل بعدها بذم ولا تنعت
عودا قبل عجم وإياك وتأبيك عن مطاوعة أبيك فإنك إن عققته حاق
يُنشد بك متى ما تحققه تسقط الفتى في يده ولات بحقوق والده ثم نهض بحفد وتبعه الشيخ
من ضامة أو ضارة دهره فليقصر القاضي في صغره سماحة ازرى بمن قبله
وعدله أتعب من بعده قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره الحان
أحروف لمسيره فناجيت النفس عند ذلك باتباعه ولو الى رباعه لعلي اظهر
على اسراره واعرف شجرة ناره فنبذت العلق وانطلقت حين انطلق ولم يزل يخطو
واعتقب ويبعد واقترب الى أن تراءى الشخصان وحق التعارف على الخلصان
فابدى الاهتشاش ورفع الارتعاش وقال من كاذب اخاه فلا عاش فعرفت حينئذ
حه انه السروجي بلا محالة ولا حول ولا حالة واسرعت اليه لاصافحه واستعرف ساغبه وبار

فقال دونك ابن اخيك البر وتركني وفر فلم يعد الفتى الى المختبر ثم فر كما فر

فعدت وقد استبهمت عينهما ولكن لم ادر اين هما

المقامة الثامنة والثلاثون المروزية

حكى الحرث بن همام قال حبب الي مذ سحت قمري ونفث قلمي ان اتخذ الادب

شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت انقب عن اخباره وخزنة اسراره فاذا

لقيت منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدي بغرزه واستنزلت منه

زكاة كنزه على اني لم الق كالسروجي في غزارة التجرب ووضع الهناء مواضع النقب

الا انه كان اسير من المثل واسرع من القمر في النقل وكنت لهوى ملاقاته واستحسان

مقاماته ارغب في الاغتراب واستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب فلما

تطوحت الى مرو ولا غرو تيمنت بلقاه زجر الطير والفال الذي هو بريد الخير فلم

ازل انشده في المحافل وعند تلقي القوافل فلا اجد عنه مخبرا ولا ارى له اثرا ولا عثيرا

حتى

حتى غلب الياس الطمع وانزوى التاميل وانقمع فاني لذات يوم بحضرة والي
وكان ممن جمع الفضل والثرو اذ طلع ابو زيد في خلق مملاق وخلق ملاق
فحيا الوالي تحية المحتاج اذا لقي رب التاج ثم قال اعلم وقيت الذم وكفيت الهم
ان من عرفت به الاعمال علقت به الامال ومن رفعت له الدرجات رفعت
اليه الحاجات وان السعيد من اذا قدر وواتاه القدر ادى زكاة النعم كما تؤدى
زكاة النعم والتزم لاهل الحرم كما يلتزم للاهل والحرم وقد اصبحت بحمد الله
عميد مصرك وعماد عصرك تزجى الركائب الى حرمك وترجى الرغائب من كرمك
وتنزل المطالب بساحتك وتستنزل الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك
عظيما ثم اني شيخ ترب بعد الاتراب وعدم الاعشاب حين شاب قصدتك
من شقة نازحة وحالة رازحة املا من بحرك دفعة ومن جاهك رفعة
والتاميل افضل وسائل السائل ونائل النائل فاوجب لي ما يجب عليك واحسن

كما احسن الله اليك، وإياك ان تلوي عذارك عمن ازدارك، وأم داركا او تقبض
راحتك عمن امتاحك، وامتار سماحك، فوالله ما مجد من جمد، ولا رشد من
حشد، بل اللبيب من اذا وجد جاد، واذا بدأ بعائدة عاد، والكريم من اذا استوهب
الذهب لم يهب ان يهب، ثم امسك يرقب اكل غرسه، ويرصد مطيبة نفسه، واحب
الوالج ان يعلم هل نطفته ثمد او لقريحته مدد، فاطرق يروي في استبراء زنده واستشفاف
فرنده، والتبس على ابي زيد سر صمته، وارجاء صلته، فتوغر غضبا وانشد مقتضبا

لا تحقرن ابيت اللعن ذا ادب ... لان بدا خلق السربال سبروتا
ولا تضع لاخي التأميل حرمته ... أكان ذا السن ام كان سكيتا
وانفح بعرفك من وافاك مختبطا ... وانعش بغوثك من للفيت منكوتا
فخير مال الفتى مال اشاد له ... ذكرا تناقله الركبان او صيتا
وما على المشتري حمدا بموهبة ... غبن ولو كان ما اعطاه ياقوتا

لولا

لولا المروّة ضاق العذر عن فطن — اذا اشرأبّ الى ما جاوز القوتا

لكنّه لابتناء المجد جدّ ومن — حبّ السماح ثنى نحو العلى ليتا

وما تنشّق نشر الحمد ذو كرم — الّا وازرى بنشر المسك مفتوتا

والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما — حتى لقد خيل ذا ضبّا وذا حوتا

والسمح ما زال محبوبا ولا يقه — والجامد الكفّ ما ينفكّ ممقوتا

وللشحيح على امواله علل — يوسعنه ابدا ذمّا وتبكيتا

فجد بما جمعت كفّاك من نشب — حتى يرى مجتدي جدواك مبهوتا

وخذ نصيبك منه قبل رائعة — من الزمان تريك العود منحوتا

فالدهر انكد من ان تستمرّ به — حال تكرّهت تلك الحال ام شيتا

فقال له الوالي تالله لقد احسنت فايّ ولد الرجل انت فنظر اليه عن عرض ثم انشد وهو مغض

لا تسأل المرء من ابوه ورز خلاله ثم صله او فاصرم — فما يشين السلاف حين حلا مذاقها

كونها ابنة الحصرم

قال فقرّبه الوالي لبيانه الفاتن حتى أحلّه مقعد الخاتن ثم فرض له من

سيوب نيله ما آذن بطول ذيله وقصر ليله فنهض عنه بُردين ملآن وقلب

جذلان وتبعته قافياً خطوه وحاذياً حذوه حتى إذا خرج من بابه وفصل

عن غابه قلت له هُنّيتَ بما أوتيت ومُلّيتَ بما أوليت فأسفر وجهه

وتلألأ ووالى شكر الله تعالى ثم خطر اختيالاً وأنشد ارتجالاً

من يكن نال بالحماقة حظّا ... وسما قدره لطيب الأصول

فبفضلي ارتفعت لا بفضولي ... وبقولي انتفعت لا بقبولي

ثم قال تعساً لمن جدب الأدب وطوبى لمن جدّ فيه ودأب ثم ودّعني وذهب وأودع

قلبي اللهب

المقامة التاسعة والثلاثون العمانية

حدّث الحارث بن همّام قال لهجتُ مذ اخضرّ إزاري وبقل عذاري بأن أجوب

البراري على ظهور المهاري أنجد طوراً وأسلك تارة غوراً حتى فليتُ المعالم والمجاهل

وبلوت

وبلوت المنازل والمناهل وادميت السنابك والمناسم وانضيت السوابق و
الرواسم فلما مللت الاصحار وقد شخب لي ارب بصحار ملت الى اختبار السيار
واختيار الفلك السيار فنقلت اليه اساودي واستصحبت زادي ومزاودي
ثم ركبت فيه ركوب حاذر ناذر عاذل لنفسه وعاذر فلما شرعنا في القلعة
ورفعنا الشرع للسرعة سمعنا من شاطي المرسى حين دجا الليل واغسى هاتفا
يقول يا اهل ذا الفلك القويم المزجى في البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل ادلكم على
تجارة تنجيكم من عذاب اليم فقلنا له اقبسنا نارك ايها الدليل وارشدنا كما
يرشد الخليل الخليل فقال اتستصحبون ابن سبيل زاده في زبيل وظله غير ثقيل
وما يبتغي سوى مقيل فاجمعنا على الجنوح اليه والانجاز لما يعون عليه فلما
استوى على الفلك قال اعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك ثم قال انا روينا في
الاخبار المنقولة عن الاحبار ان الله تعالى ما اخذ على الجهال ان يتعلموا

حتم اخذ على العلماء ان يعلموا وان معي لعوذة من الانبياء ماخوذة ومعي

لكم نصيحة براهينها صحيحة وما وسعني الكتمان ولا من خيمي الحرمان فتدبروا

القول وتفهموه واعملوا بما تعلمون وعلموه ثم صاح صيحة المباهي وقال اتدرون

ما هي هي والله حرز السفر عند مسيرهم في البحر والجنة من الغم اذا جاش موج

اليم وبها استعصم نوح يوم الطوفان ونجا هو ومن معه من الحيوان على

ما صدع به القرآن ثم قرا بعد اساطير تلاها وزخارف جلاها وقال

اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ثم تنفس تنفس المغرمين او عباد الله المكرمين

وقال اما انا فقد قمت فيكم مقام المبلغين ونصحت لكم نصح البالغين و

سلكت المحجة الراشدين فاشهد اللهم وانت خير الشاهدين قال الحرث

بن همام فاعجبنا بيانه البادي الطلاوة وعجت له اصواتنا بالتلاوة

واشرق لي من جوهره معرفة عين شمسه فقلت له بالذي سخر البحر اللجي

ألست السروجي فقال لي بلا وهل يخفى ابن جلا فاحمدت حينئذ السفر و

سفرت عن نفسي إذ سفر ولم نزل نسير والبحر رهو والجو صحو والعيش

صفو والزمان لهو وأنا أجد بالقيانه وجد المثري بعقيانه وأبتهج بمناجا

فرح الغريق بمنجاته إلى أن عصفت ريح الجنوب وعسفت الجنوب ونسي السفر

ما كان وجاءهم الموج من كل مكان فملنا لهذا الحدث الثائر إلى إحدى

الجزائر لنريح ونستريح ريثما توافي الريح وتمادى اعتياص المسير حتى نفد الزاد

غير اليسير فقال لي أبو زيد إنه لن يحرز جنى العود بالقعود فهل لك في استثارة

السعود بالصعود فقلت إني لك لأتبع من ظلك وأطوع من نعلك فنهدنا

إلى الجزيرة على ضعف من المريرة لنركض في امتراء الميرة وكلانا لا يملك فتيلا

ولا يهتدي فيها سبيلا فأقبلنا نجوس خلالها ونتفيأ ظلالها حتى أفضينا إلى

قصر مشيد له باب من حديد وبوصيده زمرة من عبيد فناسمناهم لنتخذهم

تيه

سلما الى الارتقاء وارتشينا للاستقاء فالفينا كلا منهم في مسك كبير وكرب

اسير فقلنا ايتها الغلمة لم هذه الغمة فلم يجيبوا النداء ولا فاهوا ببيضاء ولا

سوداء فلما راينا نارهم نار الحباحب وخبرهم كسراب السباسب قلنا شاهت

الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه فابتدر خادم قد علته كبرة وعرته

عبرة وقال يا قوم لا توسعونا سبا ولا توجعونا عتبا فانا لفي حزن شامل

وشغل عن الحديث شاغل فقال له ابو زيد نفس خناق البث وانفث ان قدرت

على النفث فانك ستجد مني عرافا كافيا ووصافا شافيا فقال اعلم ان رب

هذا القصر هو قطب هذه البقعة وشاه هذه الرقعة الا انه لم يخل من كمد

لخلوه من ولد ولم يزل يستكرم المغارس ويتخير من المفارش النفائس الى ان بشر

بحمل عقيلة واذنت رقلته بفسيلة فنذرت له النذور واحصيت الايام

والشهور فلما حان النتاج وصيغ له الطوق والتاج عسر مخاض الوضع

حتى خيف على الاصل والفرع فما فينا من يعرف قرارا ولا يطعم النوم الا غرارا
ثم اجهش بالبكاء واعول وردد الاسترجاع وطول فقال له ابو زيد اسكن يا
هذا واستبشر وابشر بالفرج وبشر فعندي عزيمة الطلق التي انتشر سمعها في
الخلق فبادرت الغلمة الى مولاهم متباشرين بانكشاف بلواهم فلم يكن الا
كلا ولا حتى برز من هلم بنا اليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه
قال لابي زيد ليهنك منالك ان صدق مقالك ولم يفل فالك فاستحضر قلما
مبريا وزبدا بحريا وزعفرانا قد ديف في ماء ورد نظيف فما ان رجع النفس حتى
احضر ما التمس فسجد ابو زيد وعفر وسبح واستغفر ثم اخذ القلم واخترف
كتب على الزبد بالزعفر

ايهذا الجنين اني نصيح لك والنصح من شروط الدين
انت مستعصم بكن كنين وقرار من السكون مكين
ما ترى فيه ما يروعك من الف مداج ولا عدو مبين

فمتى ما برزت منه تحولت … إلى منزل الأذى والهون

وترى إذ ذاك الشقاء الذي … تلقى فتبكي له بدمع هتون

فاستدم عيشك الرغيد وحاذر … أن تبيع المحقوق بالمظنون

واحترس من مخادع لك يرقيك … ليلقيك في العذاب المهين

ولعمري لقد نصحت لك ولكن … كم نصيح مشبه بظنين

ثم إنه طمس المكتوب على غفلة، وتفل عليه مائة تفلة، وشد الزبد في خرقة حرير، بعد ما ضمخها بعبير، وأمر بتعليقها على فخذ الماخض، وألا تعلق بها يد حائض، فلم يكن إلا كفواق شارب، أو فواق حالب، حتى اندلق شخص الولد لخصية الزبد، بقدرة الواحد الصمد، فامتلأ القصر حبورا، واستطير عميده وعبيده سرورا، وأحاطت الجماعة بأبي زيد تثني عليه، وتقبل يديه، وتتبرك بمساس طمريه، حتى خيل إلي أنه القرني أويس، أو الأسدي دبيس، ثم انثال عليه من جوائز

الأسدي

الجازات

المجازات وحصائل الصلات ما يقيض له الغنى ويبيض وجه المنى ولم يحل بيننا به

الدخل مذ نجح التحمل إلى أن أعطى البحر الأمان وتسنى الإتمام إلى عمان فاكتفى

أبو زيد بالنحلة وتأهب للرحلة فلم يسمح الوالي بحركته بعد تجربة بركته بل

أوعز بضمه إلى خزانته وأن تطلق يده في خزانته قال الحرث بن همام فلما

رأيته قد مال إلى حيث يكتسب المال الخبيث عليه بالتعنيف وهجنت له مفارقة

المألف والأليف فقال إليك عني واسمع مني لا تصبون إلى وطن فيه تضام وتمتهن

وارحل عن الدار التي تعلي الوهاد على القنن واهرب إلى كن يقيك ولو أنه حضن حضن

وارب بنفسك أن تقيم بحيث يغشاك الدرن وجب البلاد فأيها أرضاك فاختره وطن

ودع التذكر للمعاهد والحنين إلى السكن واعلم بأن الحر في أوطانه يلقى الغبن

كالدر في الأصداف يستزرى ويبخس في الثمن ثم قال حسبك ما استمعت و

حبذا أنت لو اتبعت فأوضحت له معاذيري وقلت له كن عذيري

فعذر واعتذر وزوّد حتى لم يذر ثم شيّعني تشييع الاقارب الى ان ركبت

في القارب فودّعته وانا اشكو الفراق واذمّه واودّ لو هلك الجنين وامّه

المقامة الاربعون التبريزية

اخبر الحرث بن همام قال ازمعت التبريز من تبريز حين نبت بالذليل والعزيز

وخلت من المجير والمجيز فبينا انا في اعداد الاهبة وارتياد الصحبة

لقيت ابا زيد السروجي ملتفّا بكساء ومحتفّا بنساء فسالته عن

خطبه والى اين يسرب مع سربه فاوماء الى امراة منهنّ ظاهرة النفور

باهرة السفور وقال تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة وترحض عني قشف

العزبة فلقيت منها عرق القربة تمطلني بحقي وتكلفني فوق طوقي فانا منها

نضو وجى وحلف شجو وشجى وها نحن قد تساعينا الى الحاكم ليضرب على

يد الظالم فان انتظم بيننا الوفاق والّا فالطلاق والانطلاق قال فملت الى ان

اخبر

أحبولة من الغلس وكيف يكون المنقلب فجعلت شغلي دبر أذني وصحبتهما

وإن كنت لا أغني فلما حضرا القاضي وكان ممن يرى فضل الإمساك في

بعض بنفاثة السواك جثا أبو زيد بين يديه وقال أيد الله القاضي

وأحسن إليه إن مطيتي هذه أبية القياد كثيرة الشراد مع أني أطوع لها من

بنانها وأحنى عليها من جنانها فقال لها القاضي ويحك أما علمت أن النشوز

يغضب الرب ويوجب الضرب فقالت إنه ممن يدور خلف الدار ويأخذ

الجار بالجار فقال له القاضي تبا لك أتبذر في السباخ وتستفرخ حيث لا إفراخ

اغرب عني لا نعم عوفك ولا أمن خوفك فقال أبو زيد إنها ومرسل الرياح لأكذب

من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة وجنح النعامة أكذب من

أبي ثمامة حين مخرق باليمامة فزفر أبو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة

المغتاظ وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار أتعمدين في الخلوة

لتعزيني وتبديني في الحفلة تكذيبي وقد علمت انّ حيّت بنهشت عليك ونعوت

اليك الفيتك اقبح من قردة وايبس من قدّة واخشن من ليفة وانتن من

جيفة واثقل من هيضنة واقذر من حيضة وابرز من قشرة وابرد من قرّة

واحمق من رجلة واوسع من دجلة فسترت عوارك ولم ابد عارك على انّه لو

حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها وبوران بفرشها والزبّاء

بملكها ورابعة بنسكها وخندف بفخرها والخنساء بشعرها في صخرها

لانفت ان تكوني قعيدة رحلي وطروقة فحلي قال فتذمّرت المرأة وتنمّرت و

حسرت عن ساعدها وشمّرت وقالت له يا الأم من مادر واشأم من قاشر

واجبن من صافر واطيش من طامر اترميني بشنارك وتفري عرضي بسفارك

وانت تعلم انّك احقر من قلامة واعيب من بغلة ابي دلامة وافضح من

حبقة في حلقة واحير من بقة في حقة وهبك الحسن البصري في لفظه

ووعظه

ووعظه والشعبي في علمه وحفظه والخليل في عروضه ونحوه وجرير في

غزله وهجوه وقس في فصاحته وخطابته وعبد الحميد في بلاغته وكما كبتيه

وأبا عمرو في قراءته وإعرابه والأصمعي وابن قريب في روايته عن أعرابه أتظنني

أرضاك إماماً للمحراب ومحساماً للقراب لا والله ولا بواباً للباب ولا عصا للجراب

فقال لهما القاضي أراكما شنّاً وطبقة وحداة وبندقة فاترك أيها الرجل اللدد

واسلك في سيرك الجدد وأما أنت فكفّي عن سبابه وقرّي إذا أتى البيت من بابه

فقالت المرأة والله ما يسجن عنه لساني إلا إذا كساني ولا يرفع له شراعي دون

إشباعي فحلف أبو زيد بالمحرجات الثلاث أنه لا يملك سوى أطماره الرثاث فنظر

القاضي في قصتهما نظر الألمعي وأفكر فكرة اللوذعي ثم أقبل عليهما بوجه قد

قطبه ومجن قد قلبه وقال ألم يكفكما التسافه في مجلس الحكم والإقدام على هذا

الجرم حتى ترقيتما من فحش المقاذعة إلى خبث المخادعة وايم الله لقد أخطأت

استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة فان امير المؤمنين اعز الله ببقائه الدين
نصبني لاقضي بين الخصماء لا لاقضي دين الغرماء ووحق نعمته التي احلتني هذا المحل
وملكتني العقد والحل لئن لم توضحا لي جلية خطبكما وخبيئة خبكما لانددن بكما في الامصار
ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار فاطرق ابو زيد اطراق الشجاع ثم قال له سماع سماع

انا السروجي وهذي عرسي | وليس كفو البدر غير الشمس
وما تنافر انسها وانسي | ولا تنائى ديرها عن قسي
ولا عدت سقياي ارض غرسي | لكننا منذ ليال خمس ٦
نصبح في ثوب الطوى ونمسي | لا نعرف المضغ ولا التحسي
حتى كانا لخفوت النفس | اشباح موتى نشروا من رمس
فحين عز الصبر والتاسي | وشفنا الضر الاليم المس
قمنا لسعد الجد او للنحس | هذا المقام لاجتلاب فلس

والفقر

والفقر يلجي الحر حين يرتمي … إلى التحلي بلباس اللبس

فهذه حالي وهذا درسي … فانظر إلى يومي وسل عن أمسي

وأمر مجيري إذ تشا وحبسي … ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليثب أنسك ولتطب نفسك فقد حق لك أن تغفر خطيئتك وتوفر
عطيتك فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت وأشارت إلى الحاضرين وقالت

يا أهل تبريز لكم حاكم … أوفى على الحكام تبريزا

ما فيه من عيب سوى أنه … يوم الندى قسمته ضيزى

قصدته والشيخ نبغي جنى … عود له ما زال مهزوزا

فسرح الشيخ وقد نال من … جدواه تخصيصا وتمييزا

وردني أخيب من شائم … برقا خفا في شهر تموزا

كأنه لم يدر أني التي … لقنت الشيخ الأراجيزا

وأنني إن شئت غادرته … أضحوكة في أهل تبريزا

فلما رأى القاضي اجتراء جنانها وانصلات لسانها علم أنه قد مني منهما بالداء العياء والداهية الدهياء وأنه متوضح إن حكم

الزوجين وصرف الاخر صفر اليدين كان لم يقض الدين بالدين او صلى المغرب بغير

فطلسم وطرسم واخر نطم وبرطم وهمهم وجمجم ثم التفت يمنة وشامة وتململ كآبة وندامة

واخذ يذم القضا ومتاعبه ويعدد شوائبه ونوائبه ويفند طالبه وخاطبه ثم تنفس

كما يتنفس الحريب وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب وقال ان هذا الشي عجيب الرشو في

موقف يسفهني الزم في قضية مغرمين الطيو ان ارضى الخصمين ومن اين ومن اين

ثم عطف الى حاجبه المتفرط اربه وقال ما هذا يوم فصل وقضاء وحكم وامضاء هذا

يوم الاغتمام هذا يوم الاغترام هذا يوم البحران هذا يوم الخسران هذا يوم عصيب هذا

يوم نصاب فيه ولا نصيب فارحني من هذين المهذارين واقطع لساني بدينارين

ثم فرق الاصحاب واغلق الباب واشع انه يوم مزعوم وان القاضي فيه مهموم لئلا

او اذيع اشاع الخبر اي اذاعه

يحضره خصوم قال فامن الحاجب على دعائه وتباكى لبكائه ثم نقد ابا زيد وعرسه

اي قال الابن

المثقالين وقال اشهد بالله انكما الاحيل الثقلين لكن احترما مجالس الحكام واجتنبا فيها

حضرة

اصلاه النار اي ادخله اياها

فحش الكلام فما كل قاض قاضي تبريز ولا كل وقت تسمع الاراجيز فقال لاه مثلك من يحب
وشكرك قد وجب ونهضنا وقد حظينا بدينارين واصلينا قلب القاضي نارين

تفسير ما تضمن هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية قوله
فلقيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة من الامر الذي يزاوله كما ان حامل
القربة يلقى جهدا حتى يعرق وقوله جعلته دبر اذني يعني اطرحته وهو كقوله تعالى
فنبذوه وراء ظهورهم وقوله اكذب من سجاح يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب
وسارت اليه لتناظره وتختبره ثم امنت به ووهبت نفسها له وهذا الاسم مشتق من
السجاحة وهي السهولة ومنه قولهم ملكت فاسجح وهو مبني على الكسرة مثل حذام وقطام
لكونه من الاسماء المعدولة وقولها اكذب من ابي ثمامة هذه كنية مسيلمة الكذاب و
كان نبيا باليمامة ومخرق بها الى ان سار اليه خالد بن وليد وقتله وقوله لا نعم عوفك
والعوف الحال والعوف ايضا الذكر ويدعى للباني على اهله فيقال له نعم عوفك وقوله يا
دفار يا فجار هذا الاسمان معدولان عن دافرة وفاجرة والدفر النتن وبه سميت
الدنيا ام دفر وكلاهما سمي بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند النداء
كقولهم يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار لا يجوز استعمال ذلك في غير النداء الا في ضرورة
الشعر كقول الشاعر اطوف ما اطوف ثم اوي الى بيت قعيدته لكاع

وأما قوله أحمق من رجلة هو ضرب من الحمض ينبت في مجاري السيل فيجترفها وتقرها
الأم من مادر فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا ليسقي ابله فلما رويت
سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده وأما قولها أشأم من قاشر فإنه
فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة ما طرق ابلا إلا ماتت وقيل المراد به العام
المجدب وسمي قاشرا لقشره وجه الأرض من النبات وأما قولها أجبن من صافر
فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عني به كل ما يصفر من الطير وخص بالجبن
لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصائد الأرض وقيل إنه طائر بعينه إذا جنه الليل
تعلق ببعض الأغصان ولم يزل يصفر طول ليله خوفا من أن ينام فيؤخذ وقيل إنه الذي
يصفر بالمرأة لريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة أن يظهر على أمره وقيل المراد به
في المثل المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير ليهرب فعلى هذا القول فاعل هاهنا بمعنى
مفعول كقوله تعالى من ماء دافق أي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو
كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا أي ساترا وأما
قولها أطيش من طامر فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه
وأما قول القاضي أراكما شنا وطبقة وحداة وبندقة فإنه أراد به أن كلا منكما كفو
لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه أما شن وطبقة
فإن أكثر العلماء مختلفون في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الأكثرون إنها

قبيلتان

قبيلتان فشن هو ابن اقصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار
وطبقة حى من اياد وكانت طبقة لا تطاق فاوقعت بها شن فانتصفت منها
وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة العرب وكان الزم نفسه ان لا يتزوج الا بامرأة تلايمه
فكان يجوب البلاد فى ارتياد طلبته فصاحبه رجل فى بعض اسفاره فلما اخذ السير
منهما قال له شن اتحملنى ام احملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب الراكب
فامسك وسارا حتى اتيا على زرع فقال له شن اترى هذا الزرع قد اكل ام لا فقال
له يا جاهل اما تراه فى سنبله فامسك الى ان استقبلتهما جنازة فقال له شن
اترى صاحبها حيا ام لا فقال له ما رايت اجهل منك اتراهم حملوا الى القبر حيا ثم
انهما وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة فاخذ
يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا بالصواب ولا استفهمك الا عما يستفهم
عن مثله اما قوله اتحملنى ام احملك فانه اراد اتحدثنى ام احدثك حتى نقطع الطريق
بالحديث واما قوله اترى هذا الزرع اكل ام لا فانه اراد هل استسلف اربابه
ثمنه واما استفهامه عن الميت احى هو ام لا فانه اراد هل خلف عقبا
يحيى بذكره ام لا فلما خرج الى الرجل حدثه بتاويل ابنته كلامه فخطبها اليه
فزوجه اياها فلما سار بها الى قومه وخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة
قالوا وافق شن طبقة فسارت مثلا ويحكى ان الاصمعى سيل عن تفسير

يق

هذا المثل فقال الظن الشن وعاء من ادم كان قد استشن فلما اتخذ له غطاء
وافقه ضرب فيه هذا المثل واما حداة وبندقة فانه يقال في المثل
المضروب لمن يفزع بعدوه او يبلى بنظيره حدأ حدأ وراءك بندقة وكان
الاصل حدأة باثبات الهاء فرخم في النداء وقد اختلف في تفسيرها فقيل هي الطائر
المعروف وبندقة الرامي وقيل ان حداة وبندقة قبيلتان من سعد العشيرة فاغارت
حداة وكانت تنزل الكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرت بندقة على حداة فابحت
عليهم وروى بعضهم هذا المثل حدا حدا غير مهموز على مثال عصا وقفا وزعم انه اسم القبيلة واما
قوله احتطات استكما الحفرة فانه مثل يضرب لمن يخطئ في مقصده ويضع الشيء في غير
موضعه واما قوله طلسم اي كره وجهه وطرسم اي اطرق واخرنطم اي غضب مع تكبر
برطم غضب مع تعبيس وهمهم وغمغم اي لم يبين الكلام

المقامة الحادية والاربعون التنيسية

اخبر الحرث بن همام قال اطعت دواعي التصابي في غلواء شبابي فلم ازل زيرًا للغيد واذنًا
للاغاريد الى ان وافى النذير وولى العيش النضير فقرمت الى رشد الانتباه وندمت على ما فرطت
في جنب الله ثم اخذت في كسع الهنات بالحسنات وتلافي الهفوات قبل الفوات فملت عن
مغاداة الغادات الى ملاقاة التقاة وعن مقاناة القينات الى مداناة اهل الديانات وآليت الا

اصحب

أصحب الأمن نزح عن الغور وفاء منشؤه الى الطور وإن الفيت من هو خليع الرسن مديد
الوسن أنأيت داري عن داره وقربت من عزه ومزاره فلما انتشيت الغربة بتيمن واحلني
مسجدها الأنير رأيت به ذا حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو يقول بجاش متين ولسان
مبين مسكين ابن ادم وأي مسكين ركن من الدنيا الى غير ركين واستعصم منها
بغير مكين وذبح من حبها بغير سكين يكلف بها لغباوته ويكلب عليها لشقاوته
ويعتد فيها لمفاخرته ولا يتزود منها لآخرته اقسم بمن مرج البحرين ونور
القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن ادم لما نادم ولو فكر فيما قدم لبكى الدم
ولو ذكر المكافاة لاستدرك ما فات ولو نظر في المآل لحسن قبح الأعمال يا عجبا
كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب في اكتناز الذهب وخزن النشب لذوي النسب ثم
من البدع العجيب أن يعظك وخط المشيب وتؤذن شمسك بالمغيب ولست ترى
أن تنيب وتهذب المعيب ثم اندفع ينشد إنشاد من يرشد

يا ويح من انذره شيبه ... وهو على فخ الصبى منكمش

يعشو الى نار الهوى بعد ما ... اصبح من ضعف القوى يرتعش

ويمتطي اللهو ويعتزه ... اوطأ ما يفترش المفترش

لم يهب الذي الشيب ما راى ... نجومه ذو اللب الا دهش

ولا انتهى عما نهاه النهى ... عنه ولا بالى بعرض خدش

فذاك ان مات فسحقا له ... وان يعش فهو كأن لم يعش

لا خير في محيا امرئ نشره ... كنشر ميت بعد عشر نبش

وحبذا من عرضه طيب ... يروق حسنا مثل برد رقش

فقل لمن قد شاكه ذنبه ... هلكت يا مسكين او تنتقش

فاخلص التوبة تطهر بها ... من الخطايا السود ما قد نقش

وعاشر الناس بخلق رضى ... ودار من طاش ومن لم يطش

ودش

وَرِشْ جَنَاحَ الْحُرِّ إِنْ حَصَّهُ ... زَمَانُهُ لَا كَانَ مَنْ لَمْ يَرِشْ

وَانْجِدْ أَخَا الْمَوْتُورِ ظُلْمًا فَإِنْ ... عَجَزْتَ عَنِ النَّجْدَةِ فَاسْتَجِشْ

وَأَنْعِشْ إِذَا نَادَاكَ ذُو كَبْوَةٍ ... عَسَاكَ فِي الْحَشْرِ بِهِ تَنْتَعِشْ

وَهَاكَ كَاسَ النُّصْحِ فَاشْرَبْ وَجُدْ ... بِفَضْلَةِ الْكَاسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ

قَالَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مُبْكِيَاتِهِ وَقَضَى إِنْشَادَ أَبْيَاتِهِ نَهَضَ صَبِيٌّ قَدْ شَرِنَ وَأَعْرَى الْبَدَنَ

وَقَالَ يَا ذَوِي الْحَصَاةِ وَالْإِنْصَاتِ إِلَى الْوَصَاةِ قَدْ وَعَيْتُمُ الْإِنْشَادَ وَفَقِهْتُمُ الْإِرْشَادَ

فَمَنْ نَوَى مِنْكُمْ أَنْ يَقْبَلَ وَيُصْلِحَ الْمُسْتَقْبَلَ فَلْيُبِنْ بِرِّي عَنْ نِيَّتِهِ وَلَا يَعْدِلْ عَنِّي بِعَطِيَّتِهِ

فَوَالَّذِي يَعْلَمُ الْأَسْرَارَ وَيَغْفِرُ الْإِصْرَارَ إِنَّ سِرِّي لَكَمَا تَرَوْنَ وَإِنَّ وَجْهِي لَيَسْتَوْجِبُ الصَّوْنَ

فَأَعِينُونِي رُزِقْتُمُ الْعَوْنَ قَالَ وَأَخَذَ الشَّيْخُ فِيمَا يَعْطِفُ عَلَيْهِ الْقُلُوبَ وَيُسَنِّي لَهُ الْمَطْلُوبَ

حَتَّى انْبَطَ حَفْرُهُ وَاعْشَوْشَبَ قَفْرُهُ فَلَمَّا أَنْ تَرَعَ الْكِيسُ انْصَلَتَ يَمِيسُ وَحَمِدَ تَنِيسَ

وَلَمْ يَحْلُ لِلشَّيْخِ الْمُقَامُ بَعْدَمَا انْصَاعَ الْغُلَامُ فَاسْتَرْفَعَ الْأَيْدِي لِلدُّعَاءِ ثُمَّ نَحَا نَحْوَ الْانْكِفَاءِ

قال الراوي فارتحت إلى أن أعجمه وأحلّ مترجمه فتبعته وهو يتبختر في سمته
ولا يفتر عن صمته فلما أمن المفاجي وأمكن التناجي لفت جيده إليّ وسلّم
تسليم البشاشة عليّ ثم قال أراقك ذكاء ذلك الشويدن فقلت إي والمؤمن المهيمن
فقال لله فتى التروحي وفرخ الدر من اللجي فقلت أشهد أنك لشجرة ثمرته وشواظ
شرارته فصدّق كهانتي واستحسن إبانتي ثم قال هل لك في انتداب البيت لنتنازع كأس
الكميت فقلت له ويحك أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم فافترّ افترار متصامّ
ومرّ غير مماحك ثم بدا له أن تراجع إليّ وقال احفظها عني وعلى أصرف بصري فالراح عنك الآبي
ورع القلب ولا تكتئب وقل لمن لامك فيما به ترفّع عنك ألم قد كرب اتئب
ثم قال أما أنا فسأنطلق إلى حيث أصطبح وأغتبق وإذا كنت لا تصحب وتلائم من
يطرب فلست لي برفيق ولا طرقك لي بطريق فخلّ عن سبيلي وتنكّب ولا تنفر عني ولا تنقب
الأقه
ثم ولّى مدبرا ولم يعقّب قال الحرث بن همام فالتهبت وجدا عند انطلاقه ووددت لو لم

المقامة الثانية والأربعون النجرانية

حكى الحارث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى ومساري الهوى الى ان صرت ابن
كل تربة واخا كل غربة الا اني لم اكن اقطع واديا ولا اشهد ناديا الا لاقتباس
الادب المسلي عن الاشجان المغلي قيمة الانسان حتى عرفت لي هذه الشنشنة
وتناقلتها عني الالسنة وصارت اعلق بي من الهوى ببني عذرة والشجاعة بآل
ابي صفرة فلما القيت الجران بنجران واصطفيت بها الخلان والجيران اتخذت
انديتها معتمري وموسم فكاهتي وسمري فكنت اتعهدها صباح مساء واظهر فيها
على ما سر وساء فبينما انا في ناد محشود ومحفل مشهود اذ جثم لدينا هم عليه
هدم فحيا تحية ملق بلسان ذلق ثم قال يا بدور المحافل وبحور النوافل قد
بين الصبح لذي عينين وناب العيان مناب عدلين فماذا ترون فيما ترون
أتحسنون العون ام تنأون اذ تدعون فقالوا تالله لقد غظت ورمت ان تنبط

فغضضت فناشدهم الله عما اصدهم حتى استوصب ردهم فقالوا كنا نتناضل بالالغاز

كما يتناضل يوم البراز فهممت ان اتشعث من المنزل واتحول عن هذا المفضل بمحط الفضول

فلبثته الشيبة القوم وضروه بألسنة اللوم واخذوه يتنصل من هفوته ويتندم على

فوهته وهم مصبون على مؤاخذته ومتألبون داعوه بذلته الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال

من كرم الطبع فعدوا عن اللذع والقذع ثم قال هلم الآن للغز وحكم المبرز فسكن عند

ذلك توقدهم وانحلت عقدهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم واقترحوا ان يكون اولهم

فامسك ريثما يعقد شسع او يشد نسع ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش وانشد ملغزا في

مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة ولكن على اثر المسير قفولها   لها سائق من جنسها يستحثها

على انه في الاحتثاث رسيلها   ترى في اوان القيظ تنطف بالندى ويبدو اذا ولى المصيف قحولها

ثم قال وهاكم يا اولي الفضل ومراكز العقل وانشد ملغزا في حابول النخل

ومنتسب الى ام تنشا الصلة منها   يعانقها وقد كانت نفته برهة عنها

بر

به يتوصل الجاني ولا يلحى ولا يهفا

ثمّ قال ودونكم الخفيّة العلم المحتكرة الظلم وأنشد ملغزاً في القلم

وما مأمومٌ به عُرف الإمام كما باهت بصحبته الكرام له إذ يرتوي طيشان صادٍ

ويسكن حين تعروه الأوام ويذري حين يستسقي دموعاً يرق كما يروق الابتسام

ثمّ قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل وأنشد ملغزاً في الميل

وما ناكحٌ أختين جهراً وخفيةً وليس عليه في النكاح سبيلُ

متى يغش هذه يغش في الحال هذه وإن مال بعلٌ لم يجده يميلُ

يزيدهما عند المشيب تعهّداً وبرّاً وهذا في البعول قليلُ

ثمّ قال وهذه يا أولي الألباب ومعيار الآداب وأنشد ملغزاً في الدولاب

وجافٍ وهو موصولٌ وصولٌ اليسر بالجافي غريقٌ بارزٌ فاعجب له من راسبٍ طافِ

يسح دموع مهضومٍ ويهضم هضم متلافِ ويخشى منه حدّته ولكن قلبه صافِ

قال فلما رشق بالخمس التي نشق قال يا قوم تدبروا هذه الخمس واعقدوا عليها الخنصر ثم رام الكر ومنح

الذيل والازدياد من الكيل قال فاستفزت القوم شهوة الزيادة على ما شربوا امر البلادة

فقالوا له انا وبنو فنا دون حدك لتمحصنا عن استبراء زندك فان اتممت عشرا فمن عندك

فاهتز اهتزاز من فلج سهمه وانخزل خصمه ثم افتتح النطق بالبسملة وانشد ملغزا في

ومسروقة مغمومة طول دهرها ... وما هي تدري ما السرور ولا الغم

تقرب احيانا لاجل جنينها ... وكم ولد لولاه طلقت الام

وتبعد اطوارا وما حال عهدها ... والعباد من لم يستحل عهده ظلم

اذا قصر الليل استلذ وصالها ... وان طال فالاعراض عن وصلها نعم

لها ملبس بادي الثنو مبطن ... بما يزدري لكن بما يزدري الحكم

ثم كشر عن انيابه الصفر وانشد ملغزا في الظفر

ومرهوب الشبا نام وما يرعى ولا يشرب ... يرى في العز دون النحر فاسمع وصفه واعجب

ثم تحازر تحازر العفريت وانشد ملغزا في طاقة الكبريت

وما محتقرة تدني وتقصي وما منها اذا فكرت بد لها راسان مشتبهان جدا

وكل منهما للاخر ضد تعذب ان هما خضبا وتلغى اذا عدم الخضاب ولا تعد

ثم تحفط تحفط القرم وانشد ملغزا في حلب الكرم

وما شئ اذا فسدا تحول غيه رشدا وان هو راق اوصافا اثار الشر حيث بدا

زكي العرق والدة ولكن بئس ما ولدا ثم اعتضد عصا التسيار وانشد ملغزا في الطيار

وذي طيشة شقه مائل وما عابه بهما عاقل يرى ابدا فوق علية

كما يعتلي الملك العادل تساوى لديه الحصا والنضار وما يستوي الحق والباطل

واعجب اوصافه ان نظرت كما ينظر الكيس الفاضل تراضي الخصوم به حاكما

وقد علموا انه مائل قال فظلت الافكار تهيم في اودية الاوهام وتجول جولات

المستهام الى ان طال الامد وحصحص الكمد فلما راهم يرنزون ولا سنا وينقضون النهار

بالمنى قال يا قوم الام تنظرون وحتام تنتظرون الميان لكم استخراج الخبء او استسلام

الغبي فقالوا له تالله لقد أعوصت ونصبت الشرك فقنصت فاحكم كيف شئت

وحز الغنم والصيت فقرض عن كل معمى قرضا واستخلص منهم نضا ثم فتح الاقفال

ووسم الاغفال وحاول الانجفال فاعتلقوا بمدرعة القوم وقالوا لا لبسة بعد اليوم

فاستنشب قبل الانطلاق وهبها متعة الطلاق فاطرق حتى قلنا مريب ثم انشد

والدمع مجيب

سروج مطلع شمسي وربع لهوي وانسي لكن حرمت نعيمي بها ولذة نفسي

واعتضت عنها اغترابا امر يومي وامسي ما لي مقر بارض ولا قرار لعنسي

يوما بنجد ويوما بالشام اضحي وامسي ازجي الزمان بقوت منغص مستخس

ولا ابيت وعندي فلس ومن لي بفلس ومن يعش مثل عيشي باع الحياة ببخس

ثم انه احتضن خلاصة النقد وبدر صادرا في الارض فناشدناه ان يعود و

أسنينا له الوعود فلا وابيك ما رجع ولا الترغيب له نجع

المقامة الثالثة والاربعون

اخبر الحرث بن همام قال هفا بي البين المطوح والسير المبرح الى ارض يضل بها
الخريت وتفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد الحائر الوحيد ورأيت ما
كنت منه احيد الا اني شجعت قلبي المزؤود ونسأت نضوي المجهود وسرت
سير الضارب بقدحين المستسلم للحين ولم ازل بين وخد وذميل واجازة
ميل بعد ميل الى ان كادت الشمس تجب والضياء يحتجب فارتعت لاظلال الظلام
واقتحام جيش حام ولم ادر الكمن اترجل وارتبط ام اغتمد الليل واختبط
وبينا انا اقلب العزم وامتخض الحزم ترآءى لي شبح جمل مستذر بجبل فرجيته
نعرة مريح وقصدته قصد مشيح فاذا الظن كهانة والركوبة عيرانة والمريح
قد ازدمل ببجاده واكتحل برقاده فجلست عند راسه حتى هب من نعاسه فلما
ازدهر سراجاه واحس بمن فاجاه نفر كما ينفر المريب وقال اخوك ام الذيب

فقلت بل خابط ليل ضل المسلك فاضئ لي القدح لك فقال اليسر عنك همك

فرب اخ لم تلده امك فانسرى عند ذلك اشفاقي وسرى الوسن الى اماقي فقال

عند الصباح يحمد القوم السرى فهل ترى كما ارى فقلت له اني كذلك لاطوع من

حذائك واوفق من غذائك فصدع بحجتي وبخع بصحبتي ثم احتملنا مجدين

وارتحلنا منجدين ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى الى ان بلغ الليل غايته

ورفع الفجر رايته فلما اسفر الفاضح ولم يبق الا واضح توسمت رفيق رحلتي

وسمير ليلتي فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد فتهادينا تحية

المحبين اذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا الاسرار وتناثثنا الاخبار وبعيري يخط

من الكلال وراحلته ترف زفيف الرال فاعجبني اشتداد اسرها وامتداد صبرها

واخذت استشف جوهرها واسئله من اين تخيرها فقال ان لهذه الناقة خبرا احلى

من الزرافة مليح السياقة فان احببت استماعه فانخ وان لم تشا فلا تلح فانخت

لقوله

لقوله نضوي واهرقت الشمع لما يروي فقال العلم اني استعرضتها بحضرمو تَ
وكابدت في تحصيلها الموت ومازلت اجوب عليها البلدان واطير باخفافها
الطيران الى ان وجدتها عبر اسفار وعدة فوار لا يلحقها العناء ولا تواهقها
وجناء ولا تدري ما الهناء فارصدتها للخير والشر واحللتها محل البر السر
فاتفق ان ندت مدة ومالي سواها فعرة فاستشعرت الاسف واستشرفت
التلف ونسيت كل رزء سلف ومكثت ثلاثا لا استطيع انبعاثا ولا اطعم النوم
الا احتثاثا ثم اخذت في استقراء المسالك وتفقد المسارح والمبارك وانا لا
استنشي منها ريحا ولا استغشي يأسا مريحا وكلما ذكرت مضاها في السير وابراها
لمباراة الطير لاعني الادكار واستهوتني الافكار فبينما انا في حواء بعض الاحياء
اذ سمعت من شخص متباعد وصوت متجرد من ضلت له مطية حضرمية
وطيئة جلدها قد وسم وعرها قد حسم وزمامها قد ضفر وظهرها كان كسر

ثم جبر تزيين الماشية وتعين الناشية وتقطع المسافة النائية وتظل ابدا لك

مدانية لا يعتورها الونا ولا يعترضها الوجا ولا تحوج الى العصا ولا تعصي في

عصا قال ابو زيد فجذبني صوت الصايت وبشرني بدرك الفايت فلما افضيت

اليه وسلمت عليه قلت له سلم المطية وتسلم العطية فقال وما مطيتك غفرت

خطيتك قلت ناقة جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة وحلبها ملء العلبة وقد

كنت اعطيت بها عشرين اذ حللت يبرين فاستزدت الذي اعطا وخلت انه قد

اخطا قال فاعرض حين سمع صفتي وقال لست بصاحب لقطتي فاخذت بتلابيبه

واصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق جلابيبه وهو يقول يا هذا ما مطيتي بطلبتك

فاكفف من غربك وتعد عن سبك والا فاصحبني الى الحكم هذا الحي البري من العي فان

اوجبها لك فتسلم وان زواها عنك فلا تتكلم فلم ار دواء قصتي ولا اساغ غصتي

الا الانقياد الى الحكم والالواء لكم فانخرطنا الى شيخ ركين النصبة انيق العصبة يونس منه سكون

الطائر

١٣٥

الطائر وان يسر بالجائر فان ندرأت اتظلم وان تألم وصاحبي من لا يتبرم حتى اذا
تثلمت كأنني وقضيت من القصص لبانتي ابرز نعلا زينة الوزن محرزوة
لمسالك الحزن فقال هذه التي عرفت وإياها وصفت فان كانت هي التي اعطى
بها عشرين وها هو من المبصرين فقد كذب في دعواه وكبر ما افتراه اللهم الا ان
يعد قدره ويبين مصداق ما قاله فقال الحكم اللهم غفرا وجعل يقلب النعل
بطنا وظهرا ثم قال اما هذه النعل فنعلي واما مطيتك فنو رحلي فانهض بسلم
ناقتك وافعل الخير بحسب طاقتك فقمت وقلت اقسم بالبيت العتيق ذي الحرم
والطائفين العاكفين في الحرم انك نعم من اليه يحتكم وخير قاض في الاعاريب حكم
فاسلم ودم دوم النعام والنعم فاجاب من غير روية ولا عقد نية وقال
جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم اذ لست استوجب شكرا يلتزم شر الانام
من اذا استقضي ظلم ثم متى استرعى فلم يرع الحرم فذاك والكلب سواء في القيم

وقيل الا ان الله تعالى اعتقه من طوفان نوح
عليه السلام ورفعه الى السماء فلم يغرق وقيل عتيق
لانه لم يملكه احد من بني آدم

ثُمَّ إِنَّهُ نَفَذَ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ سَلَّمَ النَّاقَةَ إِلَيَّ وَلَمْ يَمْتَنَّ عَلَيَّ فَرُحْتُ أَجُرُّ ذَيْلَ الطَّرَبِ

وَأَقُولُ يَا لَلْعَجَبِ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَقُلْتُ لَهُ تَاللهِ لَقَدْ أَطْرَفْتَ وَهَرَفْتَ بِمَا عَرَفْتَ

[illegible]

فَنَاشَدْتُكَ اللهَ هَلْ لَقِيتَ أَسْحَرَ مِنْكَ بَلَاغَةً وَأَحْسَنَ لِلَّفْظِ صِيَاغَةً فَقَالَ اللَّهُمَّ

نَعَمْ فَاسْمَعْ وَأَنْعِمْ كُنْتُ عَزَمْتُ حِينَ أَتْهَمْتُ عَلَى أَنْ أَتَّخِذَ ظَعِينَةً لِتَكُونَ لِي مُعِينَةً

فَحِينَ تَعَيَّنَ الْخَطْبُ وَكَادَ الْأَمْرُ يَسْتَتِبُّ أَفْكَرْتُ فِكْرَ الْمُتَحَرِّزِ مِنَ الْوَهْمِ الْمُتَأَمِّلِ

كَيْفَ مَسْقَطُ السَّهْمِ وَبِتُّ لَيْلَتِي أُنَاجِي الْقَلْبَ الْمُعَذَّبَ وَأُقَلِّبُ الْعَزْمَ الْمُذَبْذَبَ إِلَى أَنْ

أَجْمَعْتُ عَلَى أَنْ أُسْحِرَ وَأُشَاوِرَ أَوَّلَ مَنْ أُبْصِرُ فَلَمَّا قَوَّضَتِ الظُّلْمَةُ أَطْنَابَهَا وَوَلَّتِ

الشُّهُبُ أَذْنَابَهَا غَدَوْتُ غُدُوَّ الْمُتَعَرِّفِ وَابْتَكَرْتُ ابْتِكَارَ الْمُتَعَيِّفِ فَانْبَرَى لِي يَافِعٌ

فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ فَتَيَمَّنْتُ بِمَنْظَرِهِ الْبَهِيجِ وَاقْتَدَحْتُ رَأْيَهُ فِي التَّزْوِيجِ فَقَالَ أَوَ

تَبْغِيهَا عَوَانًا أَمْ بِكْرًا تُعَانَى فَقُلْتُ اخْتَرْ لِي مَا تَرَى فَقَدْ أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ الْعُرَى فَقَالَ إِلَيَّ التَّبْيِينُ

وَعَلَيْكَ التَّعْيِينُ فَاسْتَمِعْ أَنَا فِدْيَتُكَ بَعْدَ دَفْنِ أَعَادِيكَ أَمَّا الْبِكْرُ فَالدُّرَّةُ الْمَخْزُونَةُ

والبيضة

١٣٢

ق

والبيضة المكنونة والثمرة الباكورة والسلافة المذخورة والروضة الأنف والحلو

الذي ثمن وشرف لم يدنسها لامس ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث ولا

وكسها طامث ولها الوجه الحيي والطرف الخفي واللسان العيي والقلب النقي

ثم هي الدمية الملاعبة واللعبة المداعبة والغزالة المغازلة والملحة الكاملة

هي الصورة المنقشة والصنم — أي المراة الممازحة — وقال صلعم المراة لعبة زوجها

والوشاح الطاهر القشيب والضجيع الذي يشب ولا يشيب وأما الثيب

فالمطية المذللة واللهنة المعجلة والبغية المسهلة والطبة المعللة والقرينة

المتحببة والخليلة المتقربة والصناع المدبرة والفطنة المختبرة ثم إنها

عجالة الراكب وأنشوطة الخاطب وقعدة العاجز ونهزة المبارز وعريكتها

لينة وعقلتها هينة ودخلتها متبينة وخدمتها مزينة وأقسم لقد صدقت

في النعتين وأجليت المهاتين فبأيتهما هام قلبك وعلى أيتهما ألهمك ربك قال

أبو زيد فرأيته جندلة يتقيها المراجم وتقرع بها المحاجم إلا أني قلت له كنت سمعت

بيّنة

فان استطاع احدكم ان يحصن لعينيه فليفعل

أنّ البكر أشدّ حبًّا وأقلّ خبًّا فقال قد لعمري قيل ذا هذا ولكن كم قول أذى ويحك

أما هي المهرة الأبية العنان والمطية البطيئة الإذعان والزندة المتعسرة الا

والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم إن مؤونتها كثيرة ومعونتها يسيرة وعشرتها

صلفة ودالتها مكلفة ويدها خرقاء وفتنتها صماء وعريكتها خشناء وليلتها

ليلاء وفي رياضتها عناء وعلى خبرتها غشاء وطالما أخزت المنازل وفركت المغازل

وأحنقت الهازل وأضرعت الضيغم البازل ثم إنها هي التي تقول أنا ألبس وأجلس

واطلب من يطلق ويحبس قلت له فما ترى في الثيب يا أبا الطيب قال ويحك

أترغب في فضالة المآكل وخسارة المنهل واللباس المستبذل والوعاء المستعمل

والذواقة المتطرفة والخراجة المتصرفة والوقاح المتسلطة والمحتكرة

المتسخطة ثم كلمتها كنت فصرت وطالما بغي علي فنصرت وشتان بين اليوم

والأمس وأين القمر من الشمس وإن كانت الحنانة البروك أو الطامحة الهلوك فهي الغل

قتداح

الغل

القمل والجرح الذي لا يندمل فقلت له فهل ترى ان اترهب واسلك هذا المذهب
فانتهرني انتهار المودب عند زلة المتادب ثم قال ويلك اتقتدي بالرهبان و
الحق قد استبان اف لك ولوهن رايك وتبا لك ولاوليائك اتراك ما سمعت
بان لا رهبانية في الاسلام او ما حدثت بما نكح نبيك عليه افضل السلام
ثم قال اما تعلم ان القرينة الصالحة ترب بيتك وتلبي صوتك وتغض طرفك
وتطيب عرفك وبها ترى قرة عينك وريحانة انفك وفرحة قلبك وتعوجة يومك
وغدك وكيف رغبت عن سنة المرسلين ومتعة المتاهلين وشرعة المحصنين
ومجلبة المال والبنين والله لقد ساءني فيك ما سمعت من فيك ثم اعرض اعراض
المغضب وترا تزاور العنظب فقلت له قاتلك الله اتنطلق متبخترا وتدعني
متحيرا فقال اظنك تدعي الحيرة لتجلد عميرة وتستغني عن المهيرة فقلت له قبح الله
ظنك ولا اشب قرنك ثم رحت عنه مراح الخزيان وتبت من مشاورة الصبيان ف